

سَلَسَلَةٌ

كَلِمَاتُ
فَاطِمَةَ

فَاطِمَةُ سَامِي بَحِيَّة



حَالَاتُ إِنْسَانٍ

الإهداء

إلى كل من يجد نفسه داخل الكتاب _

المقدمة

قد تجد نفسك بين الكلمات، وتحتضنك الحروف.

وإن لم تجد نفسك، فربما تجد شعوراً مررت به يوماً.

الفصل الأول

رحلة إلى الداخل

الانتظار ضيف ثقیل علی

النفس

أجلس أنا والانتظار متقابلين، يحدق بي بثبات، كأنه
يخشى أن أهرب.

رمقته بحدّة: "أراك أيها الانتظار تحديق بي، كأنك تخشى
أن أفلت منك."

ردّ بابتسامة تكاد تظهر أسنانه: "الأمر ليس كذلك، أنا
أنظر إليك لأنني متعجّب من أنك لا زلت هنا. ألن
تغادري؟"

أغمضت عينيّ، وأعدت ترتيب أفكاري: "أنت من أتيت
إلى هنا، فكيف سأغادر مكانًا كنت فيه منذ نعومة
أظفاري؟"

ضحك بسخرية: "أنت من سمحت لي بأن أشاركك
المكان."

ابتسمتُ، وأنا أمحو الغيظ الذي شعرت به: "نعم، سأبقى
هنا، وسأظل هنا إما أن أموت أو أن تغادر أنت."

مسار الأيام

في بداية الحياة،

لم تكن تعرف كم تبدو بعض الأشياء ثقيلة، لأنك لم
تخض معاركها بعد، رغم أنك كنت تقف دائماً في وجه
المدفع.

خرجت إلى النور متشبثاً بالحياة، دون أن تعرف ما الذي
ينتظرك.

ثم تجد نفسك تحمل مسؤوليات أكبر من كاهلك، فقط
لأنك أصبحت بالغاً الآن.

منذ ذلك الوقت، تجد نفسك في منتصف عاصفة، لا تعلم
كيف تتصرف، وكل ما تفعله هو محاولة الظهور بمظهر
المتماسك، بينما يضع الواقع ثقله على عاتقك دون تردد.
تأتي لحظات تتمنى فيها لو كنت تمتلك شخصاً يشاركك
هذا الثقل، أو ينتزع عنك بعض تعبته، لكن تبقى أمنية
معلقة على حبل المستحيل.

ومع كل هذا، ستجعلك حرارة الضغط شخصاً يفهم أن
الحب لا يكفيه الكلام، وأن الأمل لا علاقة له بضوء
الشمس، وأن الصبر يترك في النهاية ثمرة تشبه الفرح،
وأن السعادة ليست في ملامح أحدهم، بل في السلام
الذي يسكن الداخل

ثِقَة

هناك كثير من الأشياء التي حصلت عليها، وتعرف
الأمنيات التي تحققت، لكن بعضها يظل على الرف،
يكسوه غبار الانتظار.

فهل لرياح الأيام أن تنفض عنه هذا الغبار؟

قد تدوم التساؤلات، ويختلط الشك بالأفكار، لكن اليقين
يقول:

أنت لا تعرف حقيقة الأمر، فقط توكل على الله.

خير الدعاء

دائماً هناك من يبدأ يومه و يختتمه بالدعاء.

قد تجد نفسك في كثير من الأوقات تنادي الله، تتضرع إليه.

وبعدها تسير في طمأنينة، تنظر حولك بقلب يملؤه اليقين، فكل شيء أوكلت أمره لله سيستجيب له.

فقال الله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

فلا يضيع دعاؤك عند الله وإن تأخرت الإجابة فما تأخر

إلا لحكمة لا يعلمه سواه.

لحظة وعي

في كل صباح نردد الكلمات نفسها،

ونتبادل الإشارات والابتسامات؛

كأنها شريط يعيد نفسه.

ومع ذلك، لا نشعر بالملل،

بل نستيقظ بحماس؛

لأننا نعلم أن بين تلك الابتسامات شيئاً لا يعرفه أحد
سوانا.

كل شيء يسير بسرعة،

ليس بسبب الوقت،

بل بسبب تركيزنا عليه.

وكل خطوة تخطوها أقدامنا نحو المجهول هي، في
جميع الأحوال، خطوة صحيحة؛

لأن الله كتبها لنا.

ستقودك الظروف إلى مجهول لا يشبه ما تمنيت،

لكنه لن يكون بالسوء الذي توقعته.

وفي كل صباح ستكتشف أشياء تخالف توقعاتك، وستجد
كثيراً من الناس طيبين بما يكفي ليحتوا غيرهم.

فالأماكن لا تدل على الأشخاص،

ولا الأشخاص تدل عليهم الأماكن.

وفي كل يوم تخطو فيه إلى المكان نفسه، قد ترى الركن

ذاته بصورة مختلفة.

إنّ، اصمت وتقبّل الأشياء المجهولة؛

فهي أرحم من التوقعات.

صمت نابض

هل يمكننا تلخيص المشاعر في كلمات تحتل السطور؟
لا، فالمشاعر التي تسكن بعض القلوب لا تكتبها الأقلام،
ولا يبوح بها الكلام.

لا توجد كاميرا تحفظ خفقة قلب، أو لحظة إدراك، أو
شوقاً مفاجئاً.

يملك الجميع قلباً أقل دقة من الكاميرا، لكنه أحياناً أكثر
صدقاً منها؛ فالكاميرا تحفظ ما حدث، أما القلب فيحفظ

ما كان يعنيه ما حدث.

فالزمن يسير أحياناً ببطء، وأحياناً يركض، وفي لحظات
أخرى يتوقف كأنه يلتقط أنفاسه.

عش يومك سعيداً؛

فما عاشته خطواتك كان أجمل مما تظن.

تنقّست ثيابك هواءً جديداً،

وضربت نعلك تراباً شهد مرور العابرين.

وعيناك تخترقان الأفق، وحوالك أطياف تطفو، يتحدث

بعضها إلى بعض بنبرة تحمل دفئاً خاصاً.

تستشعر دفء اللحظات رغم برودة المواقف؛

في تلك النظرات التي تخترق الحديث، وفي صوت

الضحكات المختبئة بين الكلمات.

سوندر

عندما تأخذك قدماك إلى ذلك الطريق المزدحم
بالخطوات،

هل سبق أن نظرت حولك؟

سيبدأ عقلك بإدراك أن العالم مليء بأشخاص يعيشون
حيوات كاملة.

هل تأملت وجوههم؟

وجدت ملامحها هادئة، لكنك شعرت أن عقولهم تغوص

عميقًا في أشياء لا تعرفها.

حينها تدرك أن كل شخص تمر بجانبه يحمل قصة طويلة ومعقدة، قصة سترحل عنها دون أن تعرف شيئًا منها.

في تلك اللحظة، ستفهم أنك لست البطل الوحيد في هذا العالم، بل مجرد طرف عابر في قصة شخص آخر

.

هيرايت

في كل يوم تستيقظ باللامح نفسها، والتفاصيل نفسها،

لكن هناك أشياء تتغير داخلك دون أن تلاحظ.

تلتفت إلى الخلف كثيراً، ليس اشتياقاً إلى الماضي، بل

حنيناً إلى نفسك.

حتى مجرد قراءتك لذلك يجعلك تشفق إليها أكثر.

رغم أنك الشخص نفسه، إلا أنك تحنّ إليك.

الوقت قاسٍ؛ يمر بسرعة، ويأخذ معه أشياء لا تعود أبداً.

الصيف طويل هذا العام، وقلبك يستمر في النبض وحيداً

وسط هذه الحرارة.

هل تريد أن تضع حداً لهذا الصيف؟

وهل إذا اختفى حنينك سيأتي الخريف؟

تزداد موجات الحر سوءاً، وشيئاً فشيئاً تتلاشى الأشياء.

كم من الوقت يجب أن يمر؟

وكم من الليالي يجب أن تنام حتى تنسى ما كنت عليه؟

هل ستبقى على حافة انتظار طويل حتى تأتي أيام

النسيان؟

لطالما سألت نفسك:

هل أنا من تغيّر؟ أم العالم؟

ثم تكتشف أنك أنت من تغيّرت، وأنت تحاول العودة إلى

نسخة قديمة منك لم تعد موجودة.

تعلمت الكثير بعد رحيلها،

وتعرف أن الصباح سيعود مجدداً لكن هل ستعود هي
معه؟

كان عليها أن تنتظر بضع ليالٍ فقط،
فربما كنت ستكونها اليوم.

مصباح الشوق

في كل صباح، يتسلل الضوء إلى عينيك معلناً بداية
جديدة.

ومع كل شعاع شمس، ترى الذكريات تتجدد، بينما تمضي
اللحظات سريعاً، ولا يتوقف شيء سوى تفكيرك عند كل
غروب.

ينتشر الظلام ويكسو الأفق، لكن نوراً آخر يشع من
داخلك؛ نور لا يراه أحد سواك.

دائمًا ما يقال إن الذكريات تزور العقل ليلاً، ثم يأتي بعدها
ضيف آخر.

يمر الخيال قبل أن ترحل الذكريات، لكن النوم يطفئ
المصباح، لتأخذ الأحلام مكانهما.

وسأخبرك:

ليس الصباح مجرد شروق للشمس، بل قد يكون لحظة
يزورك فيها طيف أحدهم في الحلم، وقد لا يكون الضوء
في السماء فقط، بل في الأمل الذي يعانق قلبك.

حُب رحيم

ليس كل من "تريده" قادراً أن تصل إليه، وليس كل من "تشعر به" يملك حق البقاء في قلبك.

من زاوية أكثر واقعية: المسافات تحول الدفء إلى فكرة، والاحتواء إلى خيال، والانتظار إلى نمط حياة، وهذا مُتعب، لكنه يحمل جمالاً خاصاً.

ومن زاوية إيمانية هادئة: إن كان في عالمٍ لا يلتقي بعالمك، فالله لم يكتبه سكناً، بل مروراً.

وما كُتب مروراً لا يُبنى عليه بيت.

الخلاصة المختصرة: قد يكون موجوداً، وقد يكون
صادقاً، لكن إن كان بعيداً حد الاستحالة فالقلب العاقل لا
يُقيم في المسافة، بل يغرق بها.

الفصل الثاني

حكايات

لمحة

ما زلت أبحث عن تلك اللحظة.

ينادي قلبي ويتساءل: متى ستأتي؟

وبينما يمضي الوقت، أجلس أراقب اللحظات،

والأماكن، والأصوات.

وفجأة، رأيت شيئاً جعل غبار الحاضر ينتفض عن

الذكريات؛ شيئاً دفعني إلى الضغط على زر

التشغيل، فعاد الماضي في أعماقي وكأنه حاضر
لا يغيب.

هناك لحظات تجعل الكون يهتز من أجلها،
وتصمت القلوب احتراماً لها؛ ليس لأنها مرّت
أمامي، بل لأنها مرّت بداخلي.

شيء جعل الدفء ينتشر، وحصون الأمل ترتفع،
وجيش المشاعر يشتد، وجعلني أربح حرباً ظننت
أنني خسرتها.

فهناك أشياء أكبر من المسافة، وأكبر من الخوف،

وأكبر من الزمن، وحتى من احتمالية عدم اللقاء.

فهو ليس وهماً،

ولا هوساً،

ولا ضعفاً،

ولا جنوناً.

هو فقط قلب متورط.

أكسجين العلاقات

كنا نجلس متقابلتين، نتبادل الحديث ونضحك
بسذاجة على بعض المواقف.

نظرت نحوي بجدية، وبابتسامة خبيثة تعلو شفتيها،
ثم بفضول يبرق في عينيها قبل أن يظهر في نبرتها:
"لماذا لم تقعي في الحب؟"

نظرت بعيداً، أفكر في السؤال الذي لم يكن ضمن
قائمة المواضيع التي كنا نتحدث عنها، وقلتُ بنبرة
يملؤها الاستغراب:

"وهل يجب أن نقع في الحب لنثبت أننا نشعر؟"

ضحكت بسخرية وقالت:

"هل تهربين من الإجابة لتسأليني سؤالاً كهذا؟ بالطبع

لا، لكن الحب جزء من المشاعر."

قلت: "هل من المهم أن نجعل الحب في أول

القائمة؟"

ابتسمت وقالت:

"نعم، لأنه من أهم المشاعر في حياة الإنسان.

قلتُ بجدية:

"هل الحب أكسجين العلاقات؟"

نفت برأسها وقالت:

"ليس الأمر كذلك، لكنه مهم."

ضحكت وقلت:

"أنتِ لا تفهمين أن للحب أشكالاً مختلفة، لكننا لا نرى
سوى شكلٍ واحدٍ فقط.

وسأخبرك أن الحب أكسجين العلاقات."

صمتت تفكر، ثم نبست:

"أخبريني يا جابتك دون مراوغة، هل وقعتِ في
الحب أم لا؟ أم أنكِ تنتظرين الفارس الذي يأتي على
الحصان الأبيض؟"

نظرتُ في عينيها بعمق، ثم قلت:

"لا أنتظر شيئاً، لقد جاء الفارس، لكنني وقعتُ في
حب الحصان."

لا تؤجل عناقًا

رأيتها جالسةً تنظر نحو الفراغ وتبتسم.

جلستُ أمامها بابتسامةٍ جانبيةٍ، قاطعتُ شرودها:

"ما الذي يشغل تفكيرك؟"

نظرت إلي بتلك الابتسامة العريضة:

"تذكرتُ موقعًا."

لمع الفضول في عيني، فاقتربتُ منها باهتمام:

"أخبريني."

وضعت يدها على فمها، تبتسم بخجل:

"كنتُ أمشي في مكانٍ ما، ورأيتُه يحمل عودَ قصبٍ

في يده اليمنى، يأكله ببطء، بينما يحمل حزمةً في

يده الأخرى.

كنتُ أراقبه باهتمام، فمرّ من جانبي وتخطاني،
وأصبح يسير أمامي.

كنتُ أنظر إليه من الخلف، وكان في داخلي رغبة أن
أحتضنه.

كنتُ أقول لنفسي:

ماذا لو كانت هذه آخر مرة أراه؟

فركضتُ نحوه وقلتُ له:

هل يمكن أن أحتضنك؟

ابتسم باتساع وفتح ذراعيه: نعم.

احتضنته، فقال لي:

عندما تريدني حضني، احتضنني دون أن تخبريني،

فحضنك مريح.

كنتُ أريد أن أخبره أنني أحترم مساحة الآخرين،

لكنني لم أقل شيئاً.

أنهيتُ العناق، ثم غادر.

صفقتُ بحماس، وهي تبتسم على ردة فعلي، وقلت:

"من هو هذا الشخص؟"

نظرت إلى الأرض، واختفت ابتسامتها، وقالت بصوتٍ

ملاه الحزن والحنين:

"لقد كان أبي."

تجمدت ملامحي، وتبعثرت كلماتي، ورفعتُ يدي

أحكّ مؤخرة رأسي:

"رحمه الله، وجعله من الصالحين."

رفعت نظرها نحوي، وفي عينيها لمعة دموع:

"آمين."

عمّ صمت ثقيل لدقائق، ثم قالت:

"احتضني من تحبين."

نظرتُ إليها بدهشة، فأكملت:

"نعم، قد تأتي لحظات تتمنين فيها لو يعود الزمن

قليلاً لتريهم."

أوماتُ برأسي، وقلت:

"ربما نحبههم لدرجة تجعلنا نخجل أن نفعل ذلك."

هزت رأسها، تمسح جفنيها من أثر الدموع:

"دعي الخجل جانباً، سيأتي الندم ويحل مكانه بعد

فوات الأوان."

ابتسمتُ:

"لكن كيف سأحتضن البعيد؟"

ابتسمت وقالت:

"بالكلام، الكلمات قد لا تكون كافية، لكنها تعني أنك

ترسلين حبك بما تستطيعين."

كلنا سنموت

لا توجد كلمات تستطيع أن تنقذ أحداً من الموت، لكن
بإمكاننا أن نجعل الأشياء تبدو أقل قسوة.

انه أكتوبر طويل هذا العام،

لذلك إن اكتفيت من الكلمات احتضن من تحب ؛
لأنك لا تعلم ما الذي قد تخسر غداً.

قلت له:

"تعال إلى هنا أقرب قليلاً، لن أهرب منك أبداً، عانقني
فأنا أعرف ما تحتاجه الآن.

لابأس إن بقيت صامتًا طويلًا، أعلم الحزن ينهشك

من الداخل"

خرجت من بين شفتيه كلمات:

"سألت المستشفى هل يمكنني أخذ الجثمان؟"

ثم صمت قليلاً وقال:

"لقد رحلت قبل أن أقول لها وداعاً."

تبعثرت الكلمات مني، ولم أستطع النطق بشيء

لمواساته.

همس بصوت متعب: "كانت تقول أنها لا تبحث عن

وسيلة للنجاة، بل عن طريقة لتصنع أكبر قدر من

الذكريات.

لم تكن تريدني أن أتركها وحيدة."

ابتعد عني قليلاً وهز كتفي بقوة:

"ألا يمكنك أن تتعاطفي؟"

ألا يمكنك أن تظهرني ذلك لي؟"

كنت كالتمثال بداخلي الكثير، لكن لم انطق بشيء

كلماتي قد تزيد الأمر سوءاً.

وضع رأسه على كتفي مجدداً، وقال بصوت خافت:

"انتهى الأمر، لقد أصبحت وحيداً"

ثم اغمض عينيه وهمس : "لكن لا بأس فكلنا

سنموت."

أين ذهبت الأوقات؟

نعم، أعلم أن من الصعب أن أتذكر كيف كنا من قبل،

والأصعب أن أتخيل أنك لست هنا.

قلت يوماً إن الوقت قد تأخر لنجح،

لكن هل تأخر حقاً على المحاولة؟

ضاعت الليالي، وما زلت معلقةً في تلك الأيام التي

كنا نسميها ضغوطاً، بينما كانت تغيب شمسها بعد

يومٍ طويل.

أين ذهبت الأوقات؟

كل هذا خطأ يا صديقتي، أين تلك الخطط التي

رسمناها معاً؟

لو كانت النهايات السعيدة حقيقة، لكنت هنا الآن،
لكن يبدو أن القصص الخيالية تجيد الكذب.

لقد أدرت وجهك نحو الغد، لأنك نسيت البارحة.
يمكنك أن تتخيلي أنني بخير، لكنني لا أتوقع أنك
تهتمين.

أعلم أنني قلت ذلك من قبل..

لكن كل جسورنا احترقت.

الفصل الثالث

النور بعد العتمة

قدر الله

وشاحُ الليلِ الأسودُ، المرصعُ بنجومِ كحباتِ السكرِ،
امتد فوق سماء المدينة.

فتح باب مكتبه بصعوبة، وبين يديه أوراق كثيرة
تحجب عنه الرؤية أمامه، يسير بخطواتٍ حذرة،
ينزل على مدرجات السلم واحدةً تلو الأخرى.

فتح باب منزله بيده التي تمكّن بصعوبةٍ بالغة من
فتحه دون أن تسقط الأوراق.

توجه نحو مكبّ نفاياتٍ قريبٍ من منزله.

ما إن توقف هناك حتى سقطت الأوراق من بين يديه، وهو يلهث.

وقف ينظر نحو كومة الأوراق، لم يعد يحتاجها، كانت كضيفٍ ثقيلٍ عليه، وتملاً المساحة.

أخرج علبة الكبريت من جيب بنطاله. أخرج عود الثقاب، أشعله، ناظراً إلى الشعلة التي تتراقص على العود، بينما ضياؤها ينعكس على بؤبؤ عينيه.

رمى بالعود، فسقط برأسه في منتصف الكومة، وبدأت النيران تلتهم الأوراق بسرعةٍ رهيبة.

ما زال يقف مثبتاً عينيه على المنظر، والأفكار تتدفق

في رأسه.

يهمس لنفسه: "النار تلتهم الورق، كما يلتهم الواقع أحلامي.

فهناك أشياء كثيرة أنتظرها، أعرف الأمنيات التي أريد تحقيقها، وكم من الابتلاءات التي أصبر عليها. لا أسأل عن نفسي، فأنا أتحمل كل يوم مخافاتٍ لا تُحتمل، أتجاوز مواقف وتفاصيل مؤذية تدفعني للانهيـار، وخيبات من الأهل والأصدقاء، الذين وثقت بهم فخذلوني أشد خذلان.

لا أعدّ المرات التي تجاوزت فيها حزني، لأبدو هادئاً أمام الجميع. هناك حرب داخل صدري، تدور بين الحنين، والحزن، والندم.

قلبي يبحث عن أي فرصة للهروب من واقعيتي
الساذجة، ومخاوفي من مستقبل مضطرب ومهزوز.
وعقلي يعمل على معالجة اليأس والإحباط، ويشعر
بمسؤولية وضغط لا ينتهي. "أخذ يرمش، يستوعب
ما يحدث أمامه، ماتت النيران، تاركة خلفها الورق
رماداً. استدار ليعود أدراجه نحو باب المنزل، لكن
هبّ نسيم بارد، جعل ربطة عنقه الحمراء تتراقص
أمامه، فالتفت للخلف كردة فعل، ليرى الرياح وهي
تأخذ الرماد بعيداً.

ابتسم باتساع وهو يراقب ما يحدث: "ربما النار
حولت الورق إلى رماد ليسهل حمله للرياح.
هذا يعني أن الله، بكل هذه العقبات، يسهل عليّ

الأمر. نعم، فما يحدث لي الآن هو ما يجعلني

مستعداً لمواجهة ما أريد."

نظر نحو الفضاء قائلاً بابتسامةٍ مليئةٍ بالنور: "الحمد

لله على كل حال."

الخاتمة

وبعد كل ما مر بك، هل ستظل تنتظر

ما سيطرق باب قلبك؟